

تأليف
عبد الهادي بن حسن وهبي


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إِنَّ الحَمدَ لِلّٰهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ خَيرَ الكَلَامِ كَلَامُ اللّٰهِ، وَخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ العَبدَ ضَعِيفٌ، وَالزَّمَانَ صَعبٌ، وَالمُعِينَ قَلِيلٌ، وَالشُّغلَ كَثِيرٌ، وَالعُمُرَ قَصِيرٌ، وَفِي

العَمَلِ تَقصِيرٌ، وَالأَجَلُ قَرِيبٌ، وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ، وَالطَّاعَةُ هِيَ الزَّادُ فَلَا بُدَّ مِنهَا؛ فَمَن ظَفِرَ بِهَا فَقَد فَازَ وَسَعِدَ أَبَدَ الآبِدِينَ، وَمَن فَاتَهُ ذَلِك فَقَد خَسِرَ مَعَ الخَاسِرِينَ، وَهَلَكَ مَعَ الهَالِكِينَ.

وَبَعدُ: فَهَذِهِ وَقَفَاتٌ نَافِعَةٌ، بَاعِثَةٌ عَلَى اغتِنَامِ الأَوقَاتِ بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ.

أَسأَلُ اللَّهَ الحَيَّ القَيُّومَ، ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ: أَن يَنفَعَ بِهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ
عَبدُ الهَادِي بنُ حَسَنٍ وَهبِي (١)

---

(١) بيروت - لبنان. ص.ب ٦٠٩٣/ ١٣ شوران.
هاتف ٦٢٦٧٨٧/ ٠٣ - فاكس ٧٩١٠٥١/ ٠١
موقع الإنترنت: www.asseraj.com.
البريد الإلكتروني: asseraj@asseraj.net.



الوَقفَةُ الأُولَى
كُن غَرِيبًا أَو عَابِرَ سَبِيلٍ

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعضِ جَسَدِي، فَقَالَ: «**كُن فِي الدُّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفسَكَ فِي أَهلِ القُبُورِ**»(١).

فَالمُؤمِنُ فِي الدُّنيَا كَالغَرِيبِ المُجتَازِ بِبَلدَةٍ غَيرَ مُستَوطِنٍ فِيهَا، فَهُوَ يَشتَاقُ إِلَى بَلَدِهِ وَهَمُّهُ الرُّجُوعُ إِلَيهِ، وَالتَّزَوُّدُ بِمَا يُوصِلُهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى وَطَنِهِ، وَلَا يُنَافِسُ أَهلَ ذَلِكَ البَلَدِ المُستَوطَنِ فِيهِ فِي عِزِّهِم، وَلَا يَجزَعُ مِمَّا أَصَابَهُ عِندَهُم مِنَ الذُّلِّ(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٣٨) [طبعة مكتبة المعارف].
(٢) «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» (ص٢٦).

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيهِ عُمَرُ وَهُوَ عَلَىٰ حَصِيرٍ قَد أَثَّرَ فِي جَنبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذتَ فِرَاشًا أَوثَرَ مِن هَذَا؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنيَا؟! مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَومٍ صَائِفٍ، فَاستَظَلَّ تَحتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِن نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[(١)].

فَالعَبدُ مُسَافِرٌ إِلَى رَبِّهِ، وَالمُسَافِرُ إِذَا رَأَى شَجَرَةً فِي يَومٍ صَائِفٍ: لَا يَحسُنُ بِهِ أَن يَبنِيَ تَحتَهَا دَارًا وَلَا يَتَّخِذَهَا قَرَارًا، بَل يَستَظِلَّ بِهَا بِقَدرِ الحَاجَةِ، وَمَن زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ انقَطَعَ عَنِ الرِّفَاقِ.

سَبِيلُكَ فِي الدُّنيَا سَبِيلُ مُسَافِرٍ
وَلَا بُدَّ مِن زَادٍ لِكُلِّ مُسَافِرِ

(١) رواه أحمد (٢٧٤٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨٣).

مَن خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ مِن أَسفَارِ الدُّنيَا بِغَيرِ زَادٍ، نَدِمَ حَيثُ يَحتَاجُ إِلَى الزَّادِ، فَلَا يَنفَعُهُ النَّدَمُ، وَرُبَّمَا هَلَكَ.

فَكَيفَ بِمَن رَحَلَ إِلَى سَفَرِ الآخِرَةِ - مَعَ طُولِهِ وَمَشَقَّتِهِ - بِغَيرِ زَادٍ؟!

يَـــا غَـــافِـــلًا تَـــتَـــمَـــادَى
غَـــدًا عَـــلَـــيــكَ يُـــنَـــادَى
هَـــذَا الَّـــــذِي لَـــم يُـــقَـــدِّم
قَـــبـــلَ الـــتَّـــرَحُّـــلِ زَادَا

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «ارتَحَلَتِ الدُّنيَا مُدبِرَةً، وَارتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنهُما بَنُونَ، فَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الدُّنيَا، فَإِنَّ اليَومَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا

حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»[(١)].

نَعَم ارتَحَلَتِ الدُّنيَا مُدبِرَةً، وَلَم يَبقَ مِنهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِن يَومٍ صَارَت شَمسُهُ عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ، وَارتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقبِلَةً، قَد جَاءَ أَشرَاطُهَا وَعَلَامَاتُهَا، وَأَنتَ مِن لِقَائِهَا كَمُسَافِرٍ خَرَجَ صَاحِبُهُ يَتَلَقَّاهُ، فَكُلٌّ مِنهُمَا يَسِيرُ إِلَى الآخَرِ، فَيُوشِكُ أَن يَلتَقِيَا سَرِيعًا[(٢)].

فَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الدُّنيَا.

إِن كُنتَ تُصَلِّي الفَجرَ فِي المَسجِدِ، فَأَنتَ مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ.

وَإِن كُنتَ تَنَامُ عَن صَلَاةِ الفَجرِ، فَأَنتَ مِن أَبنَاءِ

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٣٩) معلقًا مجزومًا به. وانظر الكلام على هذا الأثر في «الفتح» (١١/ ٢٤٠ - ٢٤١).

(٢) انظر: «تهذيب المدارج» (ص٣٩٠).

الدُّنيَا.

وَإِن كَانَتِ الدُّنيَا أَكبَرَ هَمِّكَ وَمَبلَغَ عِلمِكَ، فَأَنتَ مِن أَبنَاءِ الدُّنيَا.

وَإِن كَانَتِ الآخِرَةُ أَكبَرَ هَمِّكَ، فَأَنتَ مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ.

أَيُّهَا الغَافِلُ فِي ظِلِّ نَعِيمٍ وَسُرُورٍ
كُن غَرِيبًا وَاجعَلِ الدُّنيَا سَبِيلًا لِلعُبُورِ
وَاعدُدِ النَّفسَ طِوَالَ الدَّهرِ مِن أَهلِ القُبُورِ
وَارفُضِ الدُّنيَا وَلَا تَركَن إِلَى دَارِ الغُرُورِ

وَكَيفَ لَا يَكُونُ العَبدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ غَرِيبًا، وَهُوَ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، لَا يَحِلُّ عَن رَاحِلَتِهِ إِلَّا بَينَ أَهلِ القُبُورِ؟! فَهُوَ مُسَافِرٌ فِي صُورَةِ قَاعِدٍ، وَقَد قِيلَ:

وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ
يَحُثُّ بِهَا دَاعٍ إِلَى المَوتِ قَاصِدُ

وَأَعــجَــبُ شَــيءٍ لَـو تَـأَمَّـلـتَ أَنَّـهَـا
مَـنَـازِلُ تُـطـوَى وَالـمُـسَـافِـرُ قَـاعِـدُ

وَقَالَ القَائِلُ:

وَمَـا الـمَـرءُ إِلَّا رَاكِـبٌ ظَـهـرَ عُـمُـرِهِ
عَـلَـى سَـفَـرٍ يَـطـوِيـهِ بِـالـيَـومِ وَالـشَّـهـرِ
يَـبِـيـتُ وَيُـصـبِـحُ كُـلَّ يَـومٍ وَلَـيـلَـةٍ
بَـعِـيـدًا عَـنِ الـدُّنـيَـا قَـرِيـبًـا مِـنَ القَبرِ

وَللّٰهِ دَرُّ القَائِلُ:

نَـسِـيـرُ إِلَـى الآجَـالِ فِـي كُـلِّ لَـحـظَـةٍ
وَأَيَّـامُـنَـا تُـطـوَى وَهُـنَّ مَـرَاحِـلُ
تَـرَحَّـل مِـنَ الـدُّنـيَـا بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَى
فَـعُـمُـرُكَ أَيَّـامٌ وَهُـنَّ قَـلَائِـلُ

وَقَالَ القَائِلُ:

حَتَّى مَتَى نَحنُ وَالأَيَّـــامُ نَحسِبُهَا
وَإِنَّــمَــا نَـحـنُ فِـيـهَـا بَـيـنَ يَـومَـيـنِ
يَــومٌ تَـوَلَّـى وَيَــومٌ أَنــتَ تَـأمَـلُـهُ
لَـعَـلَّـهُ أَجـلَـبُ الأَيَّــامِ لِـلـحِـيـنِ(١)

العَبدُ مِن حِينَ استَقَرَّت قَدَمُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ، وَمُدَّةُ سَفَرِهِ هِيَ عُمُرُهُ الَّذِي كُتِبَ لَهُ. فَالعُمُرُ هُوَ مُدَّةُ سَفَرِ الإِنسَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ قَد جُعِلَتِ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَرَاحِلَ لِسَفَرِهِ: فَكُلُّ يومٍ وَلَيلَةٍ مَرحَلَةٌ مِنَ المرَاحِلِ، فَلَا يَزَالُ يَطوِيهَا مَرحَلَةً بَعدَ مَرحَلَةٍ، حَتَّى يَنتَهِيَ السَّفَرُ.

فَالكَيِّسُ الفَطِنُ هُوَ الَّذِي يَجعَلُ كُلَّ مَرحَلَةٍ

(١) أي: الأجلِ.

نُصبَ عَينَيهِ، فَيَهتَمُّ بِقَطعِهَا سَالِمًا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالخَطِيئَاتِ، غَانِمًا مِنَ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، فَإِذَا قَطَعَهَا استَقبَلَ المَرحَلَةَ الأُخرَى مِن عُمُرِهِ كَذَلِكَ. فَلَا يَزَالُ هَذَا دَأبُهُ، حَتَّى يَطوِيَ مَرَاحِلَ عُمُرِهِ كُلَّهَا.





الوَقفَةُ الثَّانِيَةُ
اغتَنِمِ الصِّحَّةَ وَالفَرَاغَ

عَـنِ ابـنِ عَـبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَـالَ: قَـالَ النَّـبِـيُّ ﷺ: «نِعمَتَانِ مَغبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»(١).

أَي: ذُو خُسرَانٍ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

فَمَنِ استَعمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ المَغبُوطُ، وَمَنِ استَعمَلَهُمَا فِي مَعصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ المَغبُونُ، لِأَنَّ الفَرَاغَ يَعقُبُهُ الشُّغلُ، وَالصِّحَّةَ يَعقُبُهَا السَّقَمُ، وَلَو لَم يَكُن إِلَّا الهَرَمُ لَكَفَى.

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

قَالَ القَائِلُ:

يَسُرُّ الفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالبَقَا
فَكَيفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفعَلُ
يَرُدُّ الفَتَى بَعدَ اعتِدَالٍ وَصِحَّةٍ
يَنُوءُ إِذَا رَامَ القِيَامَ وَيَحمِلُ

وَلِلّٰهِ دَرُّ القَائِلُ:

إِنَّ فِي المَوتِ وَالمَعَادِ لَشُغلًا
وَادِّكَارًا لِذِي النُّهَى وَبَلَاغًا
فَاغتَنِم نِعمَتَينِ قَبلَ المَنَايَا
صِحَّةَ الجِسمِ يَا أَخِي وَالفَرَاغَا[1]

وَقَالَ القَائِلُ:

(١) «العاقبة» (ص٧٩).

اغـتَـنِـم فِـي الـفَـرَاغِ فَـضـلَ رُكُـوع
فَـعَـسَـى أَن يَـكُـونَ مَـوتُـكَ بَـغـتَـه
كَـم صَـحِـيـحٍ مَـاتَ مِـن غَـيـرِ سُـقم
ذَهَـبَـت نَـفـسُـهُ الـصَّـحِـيـحَـةُ فَـلـتَـه(١)

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغتَنِم خمسًا قَبلَ خَمسٍ: شَبَابَكَ قَبلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبلَ فَقرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبلَ شُغلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبلَ مَوتِكَ**»(٢).

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

تَـفَـكَّـر قَـبـلَ أَن تَـنـدَم
فَـإِنَّـكَ مَـيِّـتٌ فَـاعـلَـم

(١) «اقتضاء العلم العمل» (ص١٥٦).
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٨)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

وَلَا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا
فَإِنَّ صَحِيحَهَا يَسقَم
وَإِنَّ جَدِيدَهَا يَبلَى
وَإِنَّ شَبَابَهَا يَهرَم

وَقَالَ القَائِلُ:

وَمَا حَالَاتُنَا إِلَّا ثَلَاثٌ
شَبَابٌ ثُمَّ شَيبٌ ثُمَّ مَوتُ
وَآخِرُ مَا يُسَمَّى المَرءُ شَيخًا
وَيَتلُوهُ مِنَ الأَسمَاءِ مَيتُ[(١)]

فَيَنبَغِي لِلعَاقِلِ فِي حَالِ الصِّحَّةِ أَن يَغتَنِمَ الفُرصَةَ، حَتَّى إِذَا مَرِضَ كُتِبَ لَهُ عَمَلُهُ فِي الصِّحَّةِ، وَأَن يَحرِصَ مَا دَامَ مُقِيمًا عَلَى كَثرَةِ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ،

(١) «لطائف المعارف» (ص٥٣٩).

حَتَّى إِذَا سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعمَلُ فِي الإِقَامَةِ[(١)].

عَـن أَبِـي مُـوسَـى الأَشـعَـرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبدُ أَو سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثلُ مَا كَانَ يَعمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»[(٢)].

عَجِبتُ مِن جِسمٍ وَمِن صِحَّةٍ، وَمِن فَتًى نَامَ عَن صَلَاةِ الفَجرِ.

❊ ❊ ❊

(١) «شـرح ريـاض الـصـالـحـين» (٣/ ٢٢٧)، لِـلـعـلَّامـة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
(٢) رواه البخاري (٢٩٩٦).



الوَقفَةُ الثَّالثَةُ
القَبرُ صُندُوقُ العَمَلِ

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «يَتبَعُ المَيتَ ثَلَاثَةٌ؛ فَيَرجِعُ اثنَانِ وَيَبقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتبَعُهُ أَهلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرجِعُ أَهلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَمَلُهُ»[(١)].

تَــــزَوَّد قَـرِينـًا مِــن فِـعَـالِـكَ إِنَّـمَـا
قَـرِيـنُ الفَتَى فِـي القَـبرِ مَـا كَـانَ يَفعَلُ
وَإِن كُـنـتَ مَـشـغُـولًا بِـشَـيءٍ فَـلَا تَكُن
بِـغَـيـرِ الَّــذِي يَـرضَـى بِـهِ الـلّٰـهُ تُشغَلُ
فَـلَـن يَـصـحَـبَ الإِنـسَـانَ مِـن بَـعـدِ مَوتِهِ

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

إِلَــى قَـبـرِهِ إِلَّا الَّــذِي كَــانَ يَـعـمَـلُ

أَلَا إِنَّـمَـا الإِنـسَـانُ ضَـيـفٌ لِأَهـلِـهِ

يُـقِـيمُ قَلِـيـلًا عِـنـدَهُـم ثُـمَّ يَـرحَـلُ (١)

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

يَـــا مَـــن بِـــدُنـــيَـــاهُ اشـتَـغَـل

وَغَـــــــرَّهُ طُـــــولُ الأَمَـــــل

الــــمَـــوتُ يَـــأتِـــي بَـــغـــتَـــةً

وَالـــقَـــبـــرُ صُـــنـــدُوقُ الـعَـمَـل

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَا يَـصـحَـبُ الإِنـسَـانَ فِـي قَـبـرِهِ

غَـيـرُ الـتُّـقَـى وَالـعَـمَـلِ الـصَّـالِـحِ

(١) «جزء فيه الكلام على حديث: **يتبع الميت ثلاث**» (ص٤٥)، لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ.

عَجَبًا لِقَومٍ أُمِرُوا بِالزَّادِ، وَنُودِيَ فِيهِم بِالرَّحِيلِ، وَحُبِسَ أَوَّلُهُم عَلَى آخِرِهِم، وَهُم قُعُودٌ يَلعَبُونَ.

تَـــزَوَّد مِـنَ الـتَّـقـوَى فَـإِنَّـكَ لَا تَـدرِي
إِذا جَـنَّ لَـيـلٌ هَـل تَعِـيشُ إِلَـى الفَجرِ
فَـكَـم مِـن فَـتًى يُـمسِي وَيُـصبِـحُ لَاهِـيًا
وَقَـد نُـسِجَـت أَكـفَـانُـهُ وَهُــوَ لَا يَـدرِي
وَكَــم مِـن صَـحِـيحٍ مَـاتَ مِـن غَـيرِ عِلَّةٍ
وَكَـم مِـن سَقِـيمٍ عَـاشَ حِينًا مِـنَ الدَّهرِ
وَكَـم مِـن صِـغَـارٍ يُـرتَـجَـى طُـولُ عُمرِهِم
وَقَـد أُدخِـلَـت أَجـسَـادُهُـم ظُـلـمَـةَ القَبرِ

«هَذا الطَّائِرُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الأُنثَى قَد حَمَلَت أَخَذَ يَنقُلُ العِيدَانَ لِبِنَاءِ العُشِّ قَبلَ الوَضعِ، أَفَتُرَاكَ مَا عَلِمتَ قُربَ رَحِيلِكَ إِلَى القَبرِ؟ فَهَلَّا بَعَثتَ فِرَاشَ:

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٤]؟!»[(١)].

فَلَا تَكُن - بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ - كَالحَمقَى المغرُورِينَ الَّذِينَ يَفرَحُونَ كُلَّ يومٍ بِزِيَادَةِ أَموَالِهِم مَعَ نُقصَانِ أَعمَارِهِم، فَأَيُّ خيرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمُرٍ يَنقُصُ! لَا تَفرَح إِلَّا بِزِيَادَةِ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُ رَفِيقُكَ يَصحَبُكَ فِي القَبرِ حَيثُ يَتَخَلَّفُ عَنكَ أَهلُكَ وَمَالُكَ، وَوَلَدُكَ، وَأَصدِقَاؤُكَ.

فَإِذَا عَلِمَ الإِنسَانُ - وَإِن بَالَغَ فِي الجِدِّ - بِأَنَّ المَوتَ يَقطَعُهُ عَنِ العَمَلِ، عَمِلَ فِي حَيَاتِهِ مَا يَدُومُ لَهُ أَجرُهُ بَعدَ مَوتِهِ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٣٢٧).

«إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انقَطَعَ عَنهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَهُ» [١].

فَأَهلُ القُبُورِ فِي قُبُورِهِم مُرتَهَنُونَ، وَعَنِ الأَعمَالِ مُنقَطِعُونَ، وَعَلَى مَا قَدَّمُوا فِي حَيَاتِهِم مُحَاسَبُونَ وَمَجزِيُّونَ، بَينَمَا هَذَا المُوَفَّقُ فِي قَبرِهِ الحَسَنَاتُ عَلَيهِ مُتَوَالِيَةٌ، وَالأُجُورُ عَلَيهِ مُتَتَالِيَةٌ، يَنتَقِلُ مِن دَارِ العَمَلِ، وَلَا يَنقَطِعُ عَنهُ الثَّوَابُ، تَزدَادُ دَرَجَاتُهُ، وَتَتَنَامَى حَسَنَاتُهُ، وَتَتَضَاعَفُ أُجُورُهُ وَهُوَ فِي قَبرِهِ، فَمَا أَكرَمَهَا مِن حَالٍ، وَمَا أَجمَلَهُ وَأَطيَبَهُ مِن مَآلٍ!

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ مِمَّا يَلحَقُ المُؤمِنَ مِن عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعدَ مَوتِهِ:

---

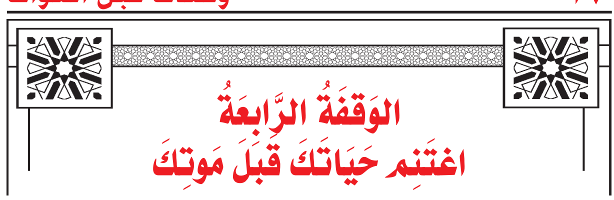
(١) رواه مسلم (١٦٣١).

عِلمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصحَفًا وَرَّثَهُ، أَو مَسجِدًا بَنَاهُ، أَو بَيتًا لِابنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَو نَهرًا أَجرَاهُ، أَو صَدَقَةً أَخرَجَهَا مِن مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلحَقُهُ مِن بَعدِ مَوتِهِ»[(١)].

فَاحرِص - بارَكَ اللّٰهُ فِيكَ - عَلَى أنَ يَكُونَ لَكَ مِنهَا حَظٌّ وَنَصِيبٌ فِي دَارِ الإِمهَالِ، وَبَادِر إِلَيهَا أَشَدَّ المُبَادَرَةِ قَبلَ أَن تَنقَضِيَ الأَعمَارُ وَتَتَصَرَّمَ الآجَالُ.

❋ ❋ ❋

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٠٠) [طبعة مكتبة المعارف].



الوَقفَةُ الرَّابعَةُ
اغتَنِم حَيَاتَكَ قَبلَ مَوتِكَ

اعلَم - رَحِمَكَ اللّٰهُ - أَنَّ الصِّحَّةَ لَا يَعرِفُ مِقدَارَهَا عَلَى الحَقِيقَةِ إِلَّا المَرضَى، وَالعَافِيَةَ لَا يَعرِفُ مِقدَارَهَا إِلَّا المُبتَلَى، فَكَذَلِكَ الحَيَاةُ لَا يَعرِفُ مِقدَارَهَا إِلَّا المَوتَى، لِأَنَّهُم قَد ظَهَرَت لَهُمُ الأُمُورُ، وَانكَشَفَت لَهُمُ الحَقَائِقُ، وَتَبَدَّت لَهُمُ المَنَازِلُ، وَعَلِمُوا مِقدَارَ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، إِذ لَيسَ يَنفَعُ هُنَاكَ إِلَّا عَمَلٌ صَالِحٌ زَكِيٌّ، وَلَا يَرتَفِعُ هُنَاكَ إِلَّا عَبدٌ تَقِيٌّ، وَكُلَّمَا ازدَادَ فِي الدُّنيَا فَضِيلَةً، كَانَ أَقرَبَ إِلى اللّٰهِ وَسِيلَةً.

فَلَمَّا استَبَانَ لَهُم ذَلِكَ، وَعَلِمُوا مِقدَارَ مَا ضَيَّعُوا، وَقِيمَةَ مَا فِيهِ فَرَّطُوا: نَدِمُوا وَأَسِفُوا، وَوَدُّوا لَو أَنَّهُم

إِلَى الدُّنيَا رَجَعُوا[١]، لِيَتُوبُوا وَيَجتَهِدُوا فِي الطَّاعَةِ، وَلَا سَبِيلَ لَهُم إِلَى ذَلِكَ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ مَرَّ بِقَبرٍ، فَقَالَ: «**مَن صَاحِبُ هَذَا القَبرِ؟**» فَقَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: «**رَكعَتَانِ أَحَبُّ إِلَى هَذَا، مِن بَقِيَّةِ دُنيَاكُم**»[٢].

قَالَ القَائِلُ:

لَـو قِـيـلَ لِـلـقَـومِ مَـا مُـنَـاكُـم طَـلَـبُـوا
حَـيَـاةَ يَـومٍ لِـيَـتُـوبُـوا فَـاعـلَـمِ
وَيـحَـكِ يَـا نَـفـسُ أَلَا تَـيَـقُّـظٌ
يَـنـفَـعُ قَـبـلَ أَن تَـزِلَّ قَـدَمِـي

(١) «العاقبة» (ص٢٠٢).
(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٢٠)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩١): «حسن صحيح».

مَـضَـى الـزَّمَـانُ فِـي تَـوَانٍ وَهَـوًى
فَـاسـتَـدرِكِـي مَـا قَـد بَـقِـيَ وَاغـتَـنِـمِـي

فَلَو وُجِدَت ذَرَّةٌ مِن تِلكِ الأَحـوَالِ فِي أَوَانِ العَافِيَةِ، حَصَلَ كُلُّ مَقصُودٍ مِنَ العَمَلِ بِالتَّقوَى.

فَانتَهِز يَا أَخِي فُرصَةَ الزَّمَانِ، قَبلَ تَعَذُّرِ الإِمكَانِ، قَبلَ أَن تُنقَلَ مِنَ اسمِ «مَا زَالَ» إِلَى خَبَرِ «كَانَ»، قَبلَ أَن يَأتِيَ يَومٌ يَدُومُ فِيهِ النَّدَمُ لِمَن زَلَّت بِهِ القَدَمُ، قَبلَ أَن يَقُولَ المُذنِبُ: رَبِّ ارجِعُونِ. فَيُقَالَ لَهُ: هَيهَاتَ، فَاتَ مَا فَاتَ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَقَد بَعُدَت بَينَكَ وَبَينَ التَّوبَةِ المَسَافَاتُ.

قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ

(١٠٠)﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾

[المنافقون: ١٠ - ١١].

البِدَارَ البِدَارَ قَبلَ الفَوَاتِ، وَالحَذَارَ الحَذَارَ قَبلَ المَوتِ، مَا فِي المَقَابِرِ مِن دَفِينٍ، إِلَّا وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مِن «سَوفَ».

يَا عَبدَ اللَّهِ، مَثِّل لِنَفسِكَ صَرعَةَ المَوتِ! وَمَا قَد عَزَمتَ أَن تَفعَلَ فِي تِلكَ السَّاعَةِ، فَافعَلهُ فِي أَوَانِ العَافِيَةِ.

* * *



الوَقفَةُ الخَامسَةُ
الدُّنيَا مَزرَعَةُ الآخِرَةِ

إِنَّ الإِنسَـانَ يَـزرَعُ بِقَولِـهِ وَعَمَلِـهِ الحَسَـنَاتِ وَالسَّـيِّئَاتِ، ثُـمَّ يَحصُدُ يَـومَ القِيَامَةِ مَـا زَرَعَ، فَمَن زَرَعَ خَيـرًا مِـن قَـولٍ أَو عَمَـلٍ، حَصَـدَ الكَرَامَـةَ، وَمَـن زَرَعَ شَـرًّا مِـن قَـولٍ أَو عَمَـلٍ، حَصَـدَ غَـدًا النَّدَامَـةَ(١).

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

غَـدًا تُـوَفَّـى الـنُّـفُـوسُ مَـا كَـسَـبَـت
وَيَـحـصُـدُ الـزَّارِعُـونَ مَـا زَرَعُـوا

(١) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٤٧).

إِن أَحـسَـنُـوا أَحـسَـنُـوا لِأَنـفُـسِـهِـم
وَإِن أَسَــاؤُوا فَـبِـئـسَ مَـا صَـنَـعُـوا[(١)]

وَقَالَ القَائِلُ:

مَن فَاتَهُ الـزَّرعُ فِي وَقـتِ الـبِـذَارِ فَمَا
تَـرَاهُ يَـحـصُـدُ إِلَّا الـهَـمَّ وَ الـنَّـدَمَـا[(٢)]

عَن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن قَالَ: سُبحَانَ اللّٰهِ العَظِيمِ وَبِحَمدِهِ، غُرِسَت لَهُ نَخلَةٌ فِي الجَنَّةِ»[(٣)].

فَكَم يُضَيِّعُ الآدَمِـيُّ مِن سَاعَاتٍ يَفُوتُهُ فِيهَا الثَّوَابُ الجَزِيلُ؟! وَهَذِهِ الأَيَّامُ مِثلُ المَزرَعَةِ، فَهَل

(١) «لطائف المعارف» (ص٣٧٥).
(٢) المصدر السابق (ص٣٤).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٢٩).

يَجُوزُ لِلعَاقِلِ أَن يَتَوَقَّفَ فِي البَذرِ وَيَتَوَانَى؟!

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقرِئ أُمَّتَكَ مِنِّيَ السَّلَامَ، وَأَخبِرهُم أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّربَةِ، عَذبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبحَانَ اللّهِ، وَالحَمدُ لِلّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، وَاللّهُ أَكبَرُ»[1].

قَالَ ابنُ القَيِّم رحمه الله: «السَّنَةُ شَجَرَةٌ، وَالشُّهُورُ فُرُوعُهَا، وَالأَيَّامُ أَغصَانُهَا، وَالسَّاعَاتُ أَورَاقُهَا، وَالأَنفَاسُ ثَمَرُهَا؛ فَمَن كَانَت أَنفَاسُهُ فِي طَاعَةٍ: فَثَمَرَةُ شَجَرَتِهِ طَيِّبَةٌ، وَمَن كَانَت فِي مَعصِيَةٍ: فَثَمَرَتُهُ حَنظَلٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الجَدَادُ[2] يَومَ المَعَادِ، فَعِندَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٢٩).
(٢) أي: قطف الثمر.

الجَدَادِ يَتبَيَّنُ حُلوُ الثِّمَارِ مِن مُرِّهَا»[١].

فَنَافِس فِي اقتِنَاءِ النَّفَائِسِ، فَإِنَّما تَجنِي مَا أَنتَ اليَومَ غَارِسٌ.

اسمُ بِهِمَّتِكَ إِلَى المَعَالِي، وَنَافِس فِي كُلِّ نَفِيسٍ غَالٍ.

* * *

(١) «فوائد الفوائد» (ص٢٦١).



الوَقفَةُ السَّادسَةُ
حِفظُ الوَقتِ

* أَعظَمُ الإِضَاعَاتِ إِضَاعَتَانِ، هُمَا أَصلُ كُلِّ إِضَاعَةٍ: إِضَاعَةُ القَلبِ، وَإِضَاعَةُ الوَقتِ. فَإِضَاعَةُ القَلبِ: مِن إِيثَارِ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَةِ، وَإِضَاعَةُ الوَقتِ: مِن طُولِ الأَمَلِ، فَاجتَمَعَ الفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الهَوَى وَطُولِ الأَمَلِ، وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الهُدَى وَالِاستِعدَادِ لِلِّقَاءِ(١).

* إِضَاعَةُ الوَقتِ أَشَدُّ مِنَ المَوتِ، لِأَنَّ إِضَاعَةَ الوَقتِ تَقطَعُكَ عَنِ اللّٰهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَالمَوتَ

(١) «فوائد الفوائد» (ص٣٨٥).

يَقطَعُكَ عَنِ الدُّنيَا وَأَهلِهَا[١].

* اغتَنِم - رَحِمَكَ اللّٰهُ - حَيَاتَكَ النَّفِيسَةَ وَاحتَفِظ بِأَوقَاتِكَ العَزِيزَةِ. وَاعلَم أَنَّ مُدَّةَ حَيَاتِكَ مَحدُودَةٌ، وَأَنفَاسُكَ مَعدُودَةٌ، فَكُلُّ نَفَسٍ يَنقُصُ بِهِ جُزءٌ مِنكَ، وَالعُمُرُ كُلُّهُ قَصِيرٌ، وَالبَاقِي مِنهُ هُوَ اليَسِيرُ، وَكُلُّ جُزءٍ مِنهُ جَوهَرَةٌ نَفِيسَةٌ.

فَلَا تُضَيِّع جَوَاهِرَ عُمُرِكَ النَّفِيسَةَ بِغَيرِ عَمَلٍ، وَاجتَهِد أَن لَا يَخلُوَ نَفَسٌ مِن أَنفَاسِكَ، إِلَّا فِي عَمَلِ طَاعَةٍ أَو قُربَةٍ تَتَقَرَّبُ بِهَا؛ فَإِنَّكَ لَو كَانَ مَعَكَ جَوهَرَةٌ مِن جَوَاهِرِ الدُّنيَا، فَضَاعَت مِنكَ، لَحَزِنتَ عَلَيهَا حُزنًا شَدِيدًا. بَل لَو ضَاعَ مِنكَ دِينَارٌ لَسَاءَكَ؛ فَكَيفَ تُفَرِّطُ فِي سَاعَاتِكَ وَأَوقَاتِكَ؟!

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٥٨).

وَكَيفَ لَا تَحزَنُ عَلَى عُمُرِكَ الذَّاهِبِ بِغَيرِ عِوَضٍ؟!(١)

* وَقتُ الإِنسَانِ هُوَ عُمُرُهُ فِي الحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ المُقِيمِ، وَمَادَّةُ مَعِيشَتِهِ الضَّنكِ فِي العَذَابِ الأَلِيمِ، وَهُوَ يَمُرُّ أَسرَعَ مِن مَرِّ السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِن وَقتِهِ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمُرُهُ، وَغَيرُ ذَلِكَ لَيسَ مَحسُوبًا فِي حَيَاتِهِ.

* اعرِف قَدرَ مَا ضَاعَ مِنكَ، وَابكِ بُكَاءَ مَن يَدرِي مِقدَارَ الفَائِتِ(٢).

* أَعظَمُ الرِّبحِ فِي الدُّنيَا: أَن تَشغَلَ نَفسَكَ كُلَّ وَقتٍ بِمَا هُوَ أَولَى بِهَا، وَأَنفَعُ لَهَا فِي مَعَادِهَا(٣).

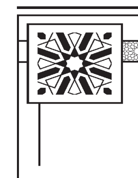
(١) «الوصية» (ص٤٠ - ٤١)، لابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «فوائدالفوائد» (ص٤٦٩).
(٣) «فوائد الفوائد» (ص٤٥٨).

❊ لَو لَم يَبكِ العَاقِلُ فِيمَا بَقِيَ مِن عُمُرِهِ إلَّا عَلَى تَفوِيتِ مَا مَضَى مِنهُ فِي غَيرِ الطَّاعَةِ، لَكَانَ خَلِيقًا أَن يُحزِنَهُ ذَلِكَ إِلَى المَمَاتِ، فَكَيفَ بِمَن يَستَقبِلُ مَا بَقِيَ مِن عُمُرِهِ بِمِثلِ مَا مَضَى مِن جَهلِهِ؟!

❊ أَيُّهَا الآدَمِيُّ المِسكِينُ المَخلُوقُ لِأَمرٍ عَظِيمٍ، وَخَطبٍ جَلِيلٍ جَسِيمٍ، الَّذِي خُلِقَت مِن أَجلِهِ الجَحِيمُ وَجَنَّاتُ النَّعِيمِ، إِذَا أَنتَ أَذهَبتَ أَوقَاتَكَ النَّفِيسَةَ فِي الأَحوالِ الدَّنِيَّةِ الخَسِيسَةِ، وَضَيَّعتَ عُمُرَكَ فِي الخِصَالِ الحَقِيرَةِ الذَّمِيمَةِ، وَشَغَلتَ بَدَنَكَ المَخلُوقَ لِلعِبَادَةِ بِمَا نَهَى اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنهُ عَادَةً، وَجَلَستَ مَجَالِسَ البَطَّالِينَ، وَعَمِلتَ أَعمَالَ الفَاسِقِينَ الجَاهِلِينَ، سَوفَ تَرَى إِذَا كُشِفَ الغِطَاءُ مَاذَا يَحِلُّ بِكَ مِنَ النَّدَمِ حِينَ تَرَى مَنَازِلَ السَّابِقِينَ، وَأُجُورَ العَامِلِينَ، وَأَنتَ مَعَ الخَالِفِينَ المُفَرِّطِينَ،

مَعدُودٌ مِن جُملَةِ المُبطِلِينَ الغَافِلِينَ، قَد زَلَّ بِك القَدَمُ، وَنَزَلَ بِكَ الأَلَمُ، وَاشتَدَّ بِكَ النَّدَمُ، فَيَومَئِذٍ لَا يُرحَمُ مَن بَكَى، وَلَا يُسمَعُ مَن شَكَا، وَلَا يُقَالُ مَن نَدِمَ؟! وَلَا يَنجُو مِن عَذَابِ اللّٰهِ إِلَّا مَن رُحِمَ.





الوَقفَةُ السَّابعَةُ
الأَعمَالُ بِالخَوَاتِيمِ

عَن سَهلِ بنِ سَعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... **وَإِنَّمَا الأَعمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**»(١).

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعمَالُ كَالوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسفَلُهُ طَابَ أَعلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسفَلُهُ فَسَدَ أَعلَاهُ**»(٢).

العُمُرُ بِآخِرِهِ، وَالعَمَلُ بِخَاتِمَتِهِ.

مَن أَحدَثَ قَبلَ السَّلَامِ بَطَلَ مَا مَضَى مِن صَلَاتِهِ، وَمَن أَفطَرَ قَبلَ غُرُوبِ الشَّمسِ ذَهَبَ صِيَامُهُ ضَائِعًا،

---

(١) قطعة من حديث: رواه البخاري (٦٤٩٣) و(٦٦٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٤).

وَمَن أَسَاءَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ لَقِيَ رَبَّهُ بِذَلِكَ الوَجهِ.

مَا أصعَبَ الانتِقَالَ مِنَ البَصَرِ إِلَى العَمَى! وَأَصعَبُ مِنهُ الضَّلَالَةُ بَعدَ الهُدَى، وَالمَعصِيَةُ بَعدَ التُّقَى. كَم مَن شَارَفَ مَركَبُهُ سَاحِلَ النَّجَاةِ، فَلَمَّا هَمَّ أَن يَرتَقِيَ لَعِبَ بِهِ مَوجُ الهَوَى فَغَرِقَ! الخَلقُ كُلُّهُم تَحتَ هَذَا الخَطَرِ. قَلُوبُ العِبَادِ بَينَ أُصبُعَينِ مِن أَصَابِعِ الرَّحمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيفَ يَشَاءُ.

فَكَم رَأَينَا وَكَم سَمِعنَا مِمَّن إِذَا لَاحَ فَجرُ أَحَدِهِم فَجَرَ، وَإِذَا أَوشَكَت عَلَى المَغِيبِ شَمسُ صِيَامِهِ أَفطَرَ! نَسأَلُكَ اللَّهُمَّ العَافِيَةَ.

نَسأَلُ اللّٰهَ الحَيَّ القَيُّومَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، أَن يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيَرضَى، وَيَختِمَ لَنَا بِخَيرٍ فِي عَافِيَةٍ؛ فَإِنَّهُ أَكرَمُ الأَكرَمِينَ، وَأَرحَمُ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ.



الوَقفَةُ الثَّامِنَةُ
عِبَرٌ وَعِظَاتٌ

❁ عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعلِهِ، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ**»[1].

وَالمَعنَى: أَنَّ الطَّاعَةَ مُوصِلَةٌ إِلَى الجَنَّةِ، وَالمَعصِيَةَ مُقَرِّبَةٌ إِلَى النَّارِ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ وَالمَعصِيَةَ قَد تَكُونُ فِي أَيسَرِ الأَشيَاءِ.

فَيَنبَغِي لِلمَرءِ أَن لَا يَزهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الخَيرِ أَن يَأتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَن يَجتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعلَمُ الحَسَنَةَ الَّتِي يَرحَمُهُ اللَّهُ بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسخَطُ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٨).

عَلَيهِ بِهَا(١).

* عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ. فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ القَبرِ. فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخوَانِي! لِمِثلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»(٢).

* عَن هَانِئٍ مَولَى عُثمَانَ قَالَ: كَانَ عُثمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبرٍ بَكَى، حَتَّى يَبُلَّ لِحيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذكُرُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبكِي، وَتَبكِي مِن هَذَا؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ القَبرَ أَوَّلُ مَنزِلٍ مِن مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِن نَجَا مِنهُ فَمَا بَعدَهُ أَيسَرُ مِنهُ، وَإِن لَم يَنجُ مِنهُ فَمَا بَعدَهُ أَشَدُّ مِنهُ». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٢٩).
(٢) رواه ابن ماجه (٤١٩٥)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٢).

«مَا رَأَيتُ مَنظَرًا قَطُّ، إِلَّا وَالقَبرُ أَفظَعُ مِنهُ»[(١)].

بَكَى عُثمَانُ وَغَيرُ عُثمَانَ، لِأَنَّهُ الأَمرُ الَّذِي يُبكَى عَلَيهِ، وَيُصرَفُ الاهتِمَامُ كُلُّهُ إِلَيهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي قَطَعَ قُلُوبَ الخَائِفِينَ، وَأَسَالَ عَبَرَاتِ التَّائِبِينَ، وَأَسهَرَ لَيَالِيَ العَابِدِينَ. وَنَحنُ فِي غَفلَةٍ عَن هَذَا الأَمرِ العَظِيمِ.

فَإِن تَنجُ مِنهَا تَنجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ
وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

❋ عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ أَبِي بَكرَةَ عَن أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ قَالَ: «مَن طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ:

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٢٧).

«مَن طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[(١)].

النَّاسُ مُنذُ خُلِقُوا لَم يَزَالُوا مُسَافِرِينَ، وَلَيسَ لَهُم حَطٌّ عَن رِحَالِهِم إِلَّا فِي الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. وَالعَاقِلُ يَعلَمُ أَنَّ السَّفَرَ مَبنِيٌّ عَلَى المَشَقَّةِ، وَمِنَ المُحَالِ عَادَةً: أَن يُطلَبَ فِيهِ نَعِيمٌ وَلَذَّةٌ وَرَاحَةٌ، إِنَّمَا ذَلِكَ بَعدَ انتِهَاءِ السَّفَرِ[(٢)].

فَمَن طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، كَانَ طُولُ سَفَرِهِ زِيَادَةً لَهُ فِي حُصُولِ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ؛ وَمَن طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ، كَانَ طُولُ سَفَرِهِ زِيَادَةً فِي أَلَمِهِ وَعَذَابِهِ[(٣)].

فَيَنبَغِي لِلمُؤمِنِ أَن يَكُونَ طُولُ عُمُرِهِ زِيَادَةً فِي

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٣٧).
(٢) «فوائد الفوائد» (ص٤٠٠).
(٣) «فوائد الفوائد» (ص٩٧).

عَمَلِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... **وَاجعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خيرٍ...**»(١).

* عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا رَأَيتُ مِثلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا**»(٢).

يَعنِي: النَّارُ شَدِيدَةٌ، وَالخَائِفُونَ مِنهَا نَائِمُونَ غَافِلُونَ. وَلَيسَ هَذَا طَرِيقُ الهَارِبِ، بَل طَرِيقُهُ أَن يُهَروِلَ مِنَ المَعَاصِي إِلَى الطَّاعَاتِ.

وَالجَنَّةُ فِيهَا مَا لَا عَينٌ رَأَت وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، وَالعَامِلُونَ لَهَا نَائِمُونَ غَافِلُونَ.

قَالَ بَعضُ الزُّهَّادِ: مَا عَلِمتُ أَنَّ أَحَدًا سَمِعَ

(١) قطعة من حديث: رواه مسلم (٢٧٢٠).
(٢) رواه الترمذي (٢٦٠١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣٢).

بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، تَأتِي عَلَيهِ سَاعَةٌ لَا يُطِيعُ اللَّهَ فِيهَا بِذِكرٍ أَو صَلَاةٍ أَو قِرَاءَةٍ أَو إِحسَانٍ[(١)].

* المُوَفَّقُ مَن إِذَا تَلَمَّحَ قِصَرَ المَوسِمِ المَعمُولِ فِيهِ، وَامتِدَادَ زَمَانِ الجَزَاءِ الَّذِي لَا آخِرَ لَهُ، أَورَثَهُ ذَلِكَ الجِدَّ وَالِاجتِهَادَ، وَانتَهَبَ هَذَا الزَّمَانَ حَتَّى اللَّحظَةَ، وَزَاحَمَ كُلَّ فَضِيلَةٍ، فَإِنَّهَا إِذَا فَاتَت فَلَا وَجهَ لِاستِدرَاكِهَا، أَوَ لَيسَ فِي الحَدِيثِ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ: اقرَأ وَارتَقِ وَرَتِّل كَمَا كُنتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ مَنزِلَكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَؤُهَا**»[(٢)]؟! فَلَو أَنَّ الفِكرَ عَمِلَ فِي هَذَا حَقَّ العَمَلِ، حَفِظَ القُرآنَ عَاجِلًا.

* السَّعِيدُ مَن وُفِّقَ لِاغتِنَامِ العَافِيَةِ، ثُمَّ يَختَارُ

(١) «فوائد الفوائد» (ص٣٨٨).
(٢) رواه أبو داود (١٤٦٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٤٠٣) [طبعة مكتبة المعارف].

الأَفضَلَ فَالأَفضَلَ فِي زَمَنِ الِاغتِنَام.

إِذَا هَبَّت رِيَاحُكَ فَاغتَنِمهَا
فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ
وَلَا تَغفَل عَنِ الإِحسَانِ فِيهَا
فَمَا تَدرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ(١)

* مَن أَخَّرَ الفُرصَةَ عَن وَقتِهَا، فَلَيَكُن عَلَى ثِقَةٍ مِن فَوتِهَا.

إِن سَمِعتَ أَذَانَ الفَجرِ، وَقُلتَ: أَنَامُ قَلِيلًا، فَاعلَم بِأَنَّكَ سَتَستَيقِظُ بِحَرِّ الشَّمسِ.

فَبَادِر قَبلَ فَوَاتِ الأَوَانِ وَضَيَاعِ الفُرَصِ.

بَادِر بِخَيرٍ إِذَا مَا كُنتَ مُقتَدِرًا
فَلَيسَ فِي كُلِّ وَقتٍ أَنتَ مُقتَدِرُ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٢٤٦).

وَلَا تُــرجِ فِعلَ الخَيرِ يَومًا إِلَــى غَدٍ
لَـعَـلَّ غَــدًا يَــأتِـي وَأَنـــتَ فَقِيـدُ

* كَم جَاءَ الثَّوَابُ يَسعَى إِلَيكَ فَوَقَفَ بِالبَابِ، فَرَدَّهُ بَوَّابُ (سَوفَ) وَ(لَعَلَّ) وَ(عَسَى)![1]

* اعلَم أَنَّكَ فِي مَيدَانِ سِبَاقٍ، فَشَمِّر لِلسِّبَاقِ، وَالفُرَصُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَلَا تَخلُد إِلَى كَسَلٍ. فَمَا فَاتَ مَا فَاتَ إِلَّا بِالكَسَلِ، وَلَا نَالَ مَن نَالَ إِلَّا بِالجِدِّ وَالعَزمِ.

* اذكُر سَاعَةً ضَاعَت مِنكَ، فَكَفَى بِهَا عِظَةً! ذَهَبَت لَذَّةُ الكَسَلِ فِيهَا، وَفَاتَت مَرَاتِبُ الفَضَائِلِ.

* مَن لَازَمَ الرُّقَادَ فَاتَهُ المُرَادُ، وَمَن دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ.

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص ٣٩٠).

* عَلَيكَ بِالجِدِّ وَالِاجتِهَادِ، وَخَلِّ الكَسَلَ وَالرُّقَادَ، فَطَرِيقُكَ لَا بُدَّ لَهَا مِن زَادٍ.

جِدُّوا فَإِنَّ الأَمرَ جِدُّ
وَلَهُ أَعِدُّوا وَاستَعِدُّوا

* مَنِ اجتَهَدَ وَجَدَّ وَجَدَ، وَلَيسَ مَن سَهِرَ كَمَن رَقَدَ، وَالفَضَائِلُ تَحتَاجُ إِلَى وَثبَةِ أَسَدٍ.

* الدُّنيَا كُلُّهَا قَلِيلٌ، وَالَّذِي بَقِيَ مِنهَا قَلِيلٌ، وَالَّذِي لَكَ مِنَ البَاقِي قَلِيلٌ، وَلَم يَبقَ مِن قَلِيلِكَ إِلَّا القَلِيلُ، وَقَد أَصبَحتَ فِي دَارِ العَزَاءِ، وَغَدًا تَصِيرُ إِلَى دَارِ الجَزَاءِ، فَاشتَرِ نَفسَكَ لَعَلَّكَ تَنجُو.

* قَد بَلَغَ مَركَبُكَ سَاحِلَ الأَجَلِ، وَقَارَبَت شَمسُ عُمُرِكَ مِنَ الغُرُوبِ، وَبَقِيَ مِن ضَوءِ الأَجَلِ شَفَقٌ، فَاستَدرِك بَاقِي الشُّعَاعِ قَبلَ غُرُوبِ الشَّمسِ.

فَكَيفَ قَـرَّت لِأَهــلِ العِـلـمِ أَعيُنُهُم
أَوِ استَلَـذُّوا لَـذِيـذَ الـنَّـومِ أَو هَجَعُوا
وَالـمَـوتُ جَـهـرًا عَـلَانِـيَـةً يُـنـذِرُهُـم
لَـو كَـانَ لِـلـقَـومِ أَسـمَـاعٌ لَـقَـد سَمِعُوا
وَالـنَّــارُ ضَـاحِـيَـةٌ لَا بُــدَّ مَـورِدُهَـا
وَلَـيـسَ يَــدرُونَ مَـن يَـنـجُـو وَمَــن يَـقَـعُ

«وَمَن تَأَمَّلَ هَذَا حَقَّ التَّأَمُّلِ أَوجَبَ لَهُ القَلَقَ. فَإِنَّ ابنَ آدَمَ مُتَعَرِّضٌ لِأَهوَالٍ عَظِيمَةٍ مِنَ المَوتِ وَالقَبرِ وَأَهوَالِ البَرزَخِ وَأَهوَالِ المَوقِفِ، كَالصِّرَاطِ وَالمِيزَانِ. وَأَعظَمُ مِن ذَلِكَ: الوُقُوفُ بَينَ يَدَيِ اللّٰهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وَدُخُولُ النَّارِ، وَيَخشَى عَلَى نَفسِهِ الخُلُودَ فِيهَا بِأَن يُسلَبَ إِيمَانُهُ عِندَ المَوتِ، وَلَم يَأمَنِ المُؤمِنُ شَيئًا مِن هَذِهِ الأُمُورِ ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ

إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩]. فَتَحَقُّقُ هَذِهِ الأُمُورِ يَمنَعُ ابنَ آدَمَ القَرَارَ»[1].

* الدُّنيَا دَارُ الأَشغَالِ، وَالآخِرَةُ دَارُ الأَهوَالِ، وَلَا يَزَالُ العَبدُ مُتَرَدِّدًا بَينَ الأَشغَالِ وَالأَهوَالِ، حَتَّى يَستَقِرَّ بِهِ القَرَارُ؛ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ.

* عَجَبًا لِعَينٍ أَمسَت بِاللَّيلِ سَاهِرَةً عَلَى مُشَاهَدَةِ الأَفلَامِ، وَنَسِيَت أَهوَالَ يَومِ القِيَامَةِ.

يَا غَافِلَ القَلبِ عَن ذِكرِ المَنِيَّاتِ
عَمَّا قَلِيلٍ سَتُلقَى بَينَ أَموَاتِ
فَاذكُر مَحَلَّكَ مِن قَبلِ الحُلُولِ بِهِ
وَتُب إِلَى اللَّهِ مِن لَهوٍ وَلَذَّاتِ

(١) «المحجة في سير الدلجة» (ص٩٩ - ١٠٠).

إِنَّ الـحِـمَـامَ لَـهُ وَقـتٌ إِلَـى أَجَـلٍ
فَـاذكُـر مَـصَـائِـبَ أَيَّـامٍ وَسَـاعَـاتِ
لَا تَـطـمَـئِـنَّ إِلَـى الـدُّنـيَا وَزِيـنَـتِـهَـا
قَـد آنَ لِـلـمَـوتِ يَـا ذَا الـلُّـبِّ أَن يَـأتِـيَ

❋ إِذَا كَانَ العُمُرُ فِي إِدبَارٍ، وَالمَوتُ فِي إِقبَالٍ، فَمَا أَسرَعَ المُلتَقَى.

❋ يَا نَائِمًا فِي لَيلِ الغَفلَةِ تَيَقَّظ، فَقَد لَاحَ فَجرُ الرَّحِيلِ.

❋ الشَّيبُ أَذَانٌ، وَالمَوتُ إِقَامَةٌ، وَأَنتَ لَستَ عَلَى طَهَارَةٍ.

كَـفَـى مُـؤذِنًـا بِـاقـتِـرَابِ الأَجَـل
شَـبَـابٌ تَـوَلَّـى وَشَـيـبٌ نَـزَل

مَن نَزَلَ بِهِ الشَّيبُ فَهُوَ بِمَنزِلَةِ الحَامِلِ الَّتِي تَمَّت

شُهُورُ حَملِهَا، فَمَا تَنتَظِرُ إِلَّا الوِلَادَةَ، كَذَلِكَ صَاحِبُ الشَّيبِ لَا يَنتَظِرُ غَيرَ المَوتِ، فَقَبِيحٌ مِنهُ الإِصرَارُ عَلَى الذَّنبِ.

فَيَا «مَن شَابَ وَلَا تَابَ! وَلَا عَزَمَ عَلَى الرُّشدِ وَلَا أَنَابَ! لَقَد أَفرَحتَ الشَّيطَانَ، وَأَسخَطتَ الرَّحمَنَ!»[1].

أَمَا عَلِمتَ أَنَّ المَوتَ أَقرَبُ إِلَيكَ مِن شِرَاكِ نَعلِكَ؟!

كُلُّ امرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهلِهِ
وَالمَوتُ أَدنَى مِن شِرَاكِ نَعلِهِ

* أَنتَ مَطلُوبٌ، وَلَكَ ذُنُوبٌ وَمَا تَتُوبُ، وَشَمسُ الحَيَاةِ قَد تَدَلَّت لِلغُرُوبِ، فَمَا أَقسَى قَلبَكَ مِن بَينِ القُلُوبِ!

(١) «شرح حديث شداد بن أوس» (ص٣٣).

* لَا تُؤَخِّرِ التَّوبَةَ؛ فَإِنَّ المَوتَ يَأْتِي بَغتَةً.

* كَم مِن إِنسَانٍ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ، ثُمَّ حُمِلَ مِن فِرَاشِهِ إِلَى سَرِيرِ تَغسِيلِهِ!

وَكَم مِن إِنسَانٍ جَلَسَ عَلَى كُرسِيِّ العَمَلِ يَعمَلُ، ثُمَّ حُمِلَ مِن كُرسِيِّ العَمَلِ إِلَى سَرِيرِ الغُسلِ!

وَكَم مِن إِنسَانٍ خَرَجَ يَقُودُ سَيَّارَتَهُ، وَرُجِعَ بِهِ مَحمُولًا عَلَى الأَكتَافِ! وَكَم مِن إِنسَانٍ دَخَلَ بَيتَهُ وَقَالَ لِأَهلِهِ: هَيِّئُوا لِي طَعَامَ الغَدَاءِ أَوِ العَشَاءِ، وَلَكِن لَم يَأكُلهُ! وَكَم مِن إِنسَانٍ لَبِسَ قَمِيصَهُ وَزَرَّ أُزرَتَهُ، وَلَم يَفُكَّهَا إِلَّا الغَاسِلُ يُغَسِّلُهُ!

فَلنَتُب إِلَى اللّٰهِ قَبلَ فَوَاتِ الأَوَانِ.

قَدِّم لِنَفسِكَ تَوبَةً مَرجُوَّةً
قَبلَ المَمَاتِ وَقَبلَ حَبسِ الأَلسُنِ

بَــــادِر بِــهَــا غَــلــقَ الــنُّــفُــوسِ فَــإِنَّــهَــا
ذُخــــرٌ وَغُــنــمٌ لِــلــمُــنِــيــبِ الــمُــحــسِــنِ

* يَا طَوِيلَ الأَمَلِ فِي قَصِيرِ الأَجَلِ! يَا كَثِيرَ الزَّلَلِ فِي يَسِيرِ العَمَلِ! خَلَا لَكَ الزَّمَانُ وَمَا سَدَدتَ الخَلَلَ! أَفَمَا عِندَكَ وَجَلٌ مِن هُجُومِ الأَجَلِ؟!

* لَيسَ العَجَبُ مِن نَائِمٍ لَم يَعرِف قَدرَ مَا مَرَّ مِن يَومِهِ، وَإِنَّمَا العَجَبُ مِن نَائِمٍ فِي يَقَظَةِ عُمُرِهِ!

* يَا مَن يُذنِبُ وَلَا يَتُوبُ، كَم قَد كُتِبَت عَلَيكَ ذُنُوبٌ، خَلِّ الأَمَلَ الكَذُوبَ، فَرُبَّ شُرُوقٍ بِلَا غُرُوبٍ!

* حَاسِب نَفسَكَ فَالعُمُرُ مَحسُوبٌ، وَامحُ قَبِيحَكَ فَالقَبِيحُ مَكتُوبٌ، وَاعَجَبًا لِنَائِمٍ وَهُوَ مَطلُوبٌ، وَلِضَاحِكٍ وَعَلَيهِ ذُنُوبٌ!

* ابكِ عَلَى نَفسِكَ قَبلَ أَن يُبكَى عَلَيكَ، وَتَفَكَّر فِي

سَهمٍ قَد صُوِّبَ إِلَيكَ، وَإِذَا رَأَيتَ جِنَازَةً فَاحسِبهَا أَنتَ، وَإِذَا عَايَنتَ قَبرًا فَتَوَهَّمهُ قَبرَكَ، وَعُدَّ بَاقِيَ الحَيَاةِ رِبحًا.

* أَيَّامُ العَافِيَةِ غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ، وَأَوقَاتُ السَّلَامَةِ لَا تُشبِهُهَا فَائِدَةٌ، فَتَنَاوَل مَا دَامَت لَدَيكَ المَائِدَةُ، فَلَيسَتِ السَّاعَاتُ الذَّاهِبَاتُ بِعَائِدَةٍ.

* يَا مَن أَنفَاسُهُ مَحفُوظَةٌ، وَأَعمَالُهُ مَلحُوظَةٌ، أَيُنفَقُ العُمُرُ النَّفِيسُ فِي نَيلِ الهَوَى الخَسِيسِ؟!

جَدَّ الزَّمَانُ وَأَنتَ تَلعَبُ
وَالعُمُرُ لَا فِي شَيءٍ يَذهَبُ
كَم كَم تَقُولُ غَدًا أَتُوبُ
غَدًا غَدًا وَالمَوتُ أَقرَبُ

* كَفَى بِالمَوتِ وَاعِظًا. اليَومَ فِي الدُّورِ وَغَدًا فِي القُبُورِ.

* يَا مَغرُورًا بِطُولِ الأَمَلِ! يَا مَسرُورًا بِسُوءِ العَمَلِ! كُن مِنَ المَوتِ عَلَى وَجَلٍ، فَمَا تَدرِي مَتَى يَهجُمُ الأَجَلُ؟![1]

* كَم مِن مُستَقبِلٍ يَومًا لَا يَستَكمِلُهُ، وَمِن مُؤَمِّلٍ غَدًا لَا يُدرِكُهُ؟![1]

* كَم مِمَّن رَاحَ فِي طَلَبِ الدُّنيَا أَو غَدَا، أَصبَحَ مِن سُكَّانِ القُبُورِ غَدًا؟![1]

* عَجَبًا لِمَن أَيقَنَ بِالمَوتِ كَيفَ يَفرَحُ؟! عَجَبًا لِمَن أَيقَنَ بِالنَّارِ كَيفَ يَضحَكُ؟!

* العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ مِن غَفلَةِ مَن تُعَدُّ عَلَيهِ لَحَظَاتُهُ، وَتُحصَى عَلَيهِ أَنفَاسُهُ، وَمَطَايَا اللَّيلِ وَالنَّهَارِ تُسرِعُ بِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُ إِلَى أَينَ يُحمَلُ، وَلَا إِلَى

(١) «لطائف المعارف» (ص٢٦٨).

أَيِّ مَنزِلٍ يُنقَلُ؟!

وَكَـيـفَ تَـنَـامُ الـعَـيـنُ وَهِـيَ قَـرِيـرَةٌ
وَلَـم تَـدرِ فِـي أَيِّ الـمَـحَلَّـيـنِ تَـنـزِلُ؟

❋ ❋ ❋

أُؤَمِّـلُ أَن أُخَـلَّـدَ وَالـمَـنَـايَـا
تَـدُورُ عَـلَـيَّ مِـن كُـلِّ الـنَّـوَاحِـي
وَمَـا أَدرِي وَإِن أَمسَـيـتُ يَـومًـا
لَـعَـلِّـي لَا أَعِـيـشُ إِلَـى الـصَّـبَـاحِ

❋ ❋ ❋

إِنَّـا لَـنَـفـرَحُ بِـالأَيَّـامِ نَـقـطَـعُـهَـا
وَكُـلُّ يَـومٍ مَـضَـى يُـدنِـي مِـنَ الأَجَـلِ
فَاعـمَـل لِنَفسِكَ قَبلَ الـمَوتِ مُجتَهِدًا
فَـإِنَّـمَـا الـرِّبـحُ وَالـخُـسـرَانُ فِـي العَمَلِ

* إِيَّـاكَ وَالـغـفـلَـةَ عـمَّـن جـعَـلَ لِـحَـيَـاتِـكَ أَجَـلًا وَلِأَيَّامِكَ وَأَنفَاسِكَ أَمَدًا، وَمِن كُلِّ مَا سِوَاهُ بُدٌّ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنهُ[(١)].

* اشتَغِل بِهِ فِي الحَيَاةِ، يَكفِكَ مَا بَعدَ المَوتِ[(٢)].

* النَّـاسُ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَى جَنَاحِ سَـفَرٍ كُلُّهُم، وَكُلُّ مُسَـافِرٍ فَهُوَ ظَاعِـنٌ إِلَى مَقصَـدِهِ، وَنَازِلٌ عَلَى مَن يُسَـرُّ بِالنُّزُولِ عَلَيـهِ، وَطَالِبُ اللّٰهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ إِنَّمَـا هُـوَ ظَاعِـنٌ إِلى اللّٰـهِ فِي حَـالِ سَـفَرِهِ، وَنَازِلٌ عَلَيـهِ عِندَ القُـدُومِ عَلَيهِ، فَهَذِهِ هِمَّتُهُ فِي سَـفَرِهِ وَفِي انقِضَائِـهِ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، وَقَالَتِ امرَأَةُ فِرعَونَ: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي

(١) «فوائدالفوائد» (ص٤٣٦).
(٢) «فوائدالفوائد» (ص٤٣٦).

﴿عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، فَطَلَبَت كَونَ البَيتِ عِندَهُ قَبلَ طَلَبِهَا أَن يَكُونَ فِي الجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الجَارَ قَبلَ الدَّارِ(١).

❊ انتَبِه يَا مِسكِينُ قَبلَ المَمَاتِ، وَحَسِّنِ القَولَ وَالعَمَلَ، فَقَد قَرُبَ الأَجَلُ، لِلّٰهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ العَلِيِّ العَظِيمِ(٢).

❊ ❊ ❊

(١) «فوائد الفوائد» (ص٤٢٤).
(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤/ ٢١٠ - ٢١١).



الخَاتِمَةُ

الحَمدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولَا أَن هَدَانَا اللّٰهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ.

أَيقَظَنَا اللّٰهُ وَإِيَّاكُم مِن رَقدَةِ الغَافِلِينَ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُم لِلتَّزَوُّدِ قَبلَ النَّقلَةِ، وَأَلهَمَنَا اغتِنَامَ الزَّمَانِ بِمَا يُقَرِّبُ مِنَ الرَّحمَنِ فِي أَيَّامِ المُهلَةِ، وَسَلَكَ بِنَا وَبِكُم طَرِيقَ الجَنَّةِ، وَبَصَّرَ كُلًّا مِنَّا وَمِنكُم بِمَا عَلَيهِ وَلَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمعُهُ، وَنَستَغفِرُ اللّٰهَ مِن كُلِّ مَا زَلَّ بِهِ القَدَمُ، أَو طَغَى بِهِ القَلَمُ، وَنَستَغفِرُهُ مِن أَقَاوِيلِنَا الَّتِي لَا تُوَافِقُ أَعمَالَنَا، وَنَستَغفِرُهُ مِمَّا ادَّعَينَاهُ

وَأَظهَرنَاهُ مِنَ العِلمِ بِدِينِ اللّٰهِ تَعَالَى مَعَ التَّقصِيرِ فِيهِ، وَنَستَغفِرُهُ مِن كُلِّ خَطرَةٍ دَعَتنَا إِلَى تَصَنُّعٍ وَتَزَيُّنٍ، فِي كِتَابٍ سَطَّرنَاهُ أَو كَلَامٍ نَظَمنَاهُ، أَو عِلمٍ أَفَدنَاهُ.

وَنَسأَلُهُ أَن يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُم، بِمَا عَلِمنَاهُ عَامِلِينَ، وَلِوَجهِهِ بِهِ مُرِيدِينَ، وَأَن لَا يَجعَلَهُ وَبَالًا عَلَينَا، وَأَن يَضَعَهُ فِي مِيزَانِ الصَّالِحَاتِ إِذَا رُدَّت أَعمَالُنَا إِلَينَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ.



الفِهرِسُ

❊ ❊ ❊